واقع اللغة العربية في الخطاب الإعلامي المعاصر.

الأستاذة: فرح ديدوح. المركز الجامعي بالنعامة ، الجزائر.

يعدّ الإعلام اليوم من معطيات المدنية مع أنه اتخذ في هذا العصر تبعا للانجازات التقنية أشكالا خاصة بدلت في نوعية العلاقات البشرية، وجعلت منه أحد أدق وسائل التأثير في الإنسان فردا كان أو جماعة أو دولا(نسيم الخوري،2005، الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية، ص: 79).

ذلك أن وسائل الإعلام والاتصال هي القناة التي تتم عن طريقها الرسائل الإعلامية، وهي القناة التي تجمع بين المرسِل والمستقبِل، ولكنها لا تبقى القناة الوحيدة للربط؛ بل ثمة هيكل عام يؤدي هذه العملية، ومن أطراف هذا الهيكل:ا للغة؛ التي هي الوسيلة الرئيسة لفهم وترجمة أي رسالة؛ حيث إن اللغة هي المفتاح الضروري للتبحر في مختلف فروع الحياة، فكل ما ذكرنا يتم عبر فحص اللغة التي صيغت بها هذه الرسائل والعلوم.

ولكي يرسل المتكلم مرسَلته فإنه يستحضر قانونا أو رموزا يفترض في مستقبِله العلمَ به من أجل أن يتم التبليغ(عبد الجليل مرتاض، 2000، اللغة والتواصل، "اقترابات لسانية للتواصليين: الشفهي والكتابي"، ص: 86 .87).

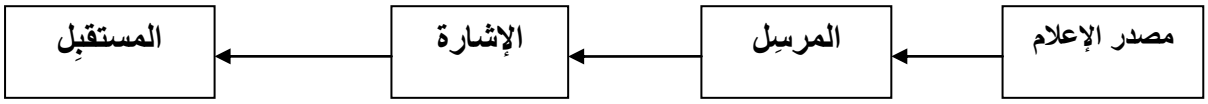

فمصدر الإعلام في موضوعنا هو التلفاز، أما المرسل فهو صاحب الرسالة الإعلامية أي: الإعلامي، كما يمكن للمرسِل أن يكون جماعة لا فردا، والمستقبل هو الذي توجّه إليه الرسالة الإعلامية سواء كان فردا أو جماعة أو بمعنى آخر جمهور المشاهدين، في حين أن الإشارة هي المضمون أو الجوهر الذي تؤدي الوسيلة والمادة الإعلامية نفسها.

و من الأمور المتفق عليها أن اللغة في وسائل الإعلام وبخاصة المسموعة منها تكتسب أهميتها من أهمية الوسائل التي تكشف عن تنامي الثورة الاتصالية وتعاظمها نفوذا وتأثيرا في اجتذاب ملايين المستمعين والمشاهدين من كل الأعمار والمستويات، فقد ألغت هذه الوسائل كل الحدود واكتسحت حواجز الزمان والمكان مما يدل على خطورة الدور لذي تلعبه في السيطرة على أوقات الناس وعقولهم وبالخصوص على سلوكهم اللغوي، وهذا مهما اختلفت أعمارهم ومستوياتهم الثقافية(صافية كساس،2009، لغة الإذاعة والتلفزيون وتأثيرهما على النشء الجديد، من الإذاعة الوطنية وترقية أداء اللغة العربية، ص:109.)

وفي إطار ما ذكرنا يندرج موضوع مداخلتنا؛ الذي يروم اتخاذ الإعلام واللغة أفقا للدرس والتحليل، منطلقة من أولية أساسية مفادها أن التلفاز هو الوسيلة الإعلامية التي يتجلى من خلالها توظيف اللغة بصورة

واضحة، ويُبرز مدى تأصّلها ورسوخها داخل الفرد والمجتمع الجزائري؛ ذلك أن التلفاز أصبح جزءا فاعلا في حياة الإنسان اليومية، بل وأصبح سلوك الإنسان نتاجا لتأثير وسائل الإعلام، فالصغار مثل الكبار يمضون وقتا طويلا أمام الشاشة مقارنة بالوسائل الإعلامية والأنشطة الأخرى؛ كونه وسيلة تجمع بين الصوت والصورة بطريقة مباشرة وإن لم تكن في الأصل كذلك.

وبالمقابل فالتلفاز وسيلة معقّدة تستخدم لغة الكلمات والصور المرئية والصوت لتوليد الانطباعات وإثارة الأفكار عند المشاهدين وهذا ما جعل له حضورا قويا في المجتمعات العربية والغربية على حد سواء(جمال العيفة،2003، الثقافة الجماهيرية "عندما تخضع وسائل الإعلام والاتصال لقوى السوق"، ص: 60).

أضف إلى ذلك أن التلفاز تطور بشكل سريع مقارنة بوسائل الإعلام الأخرى واستأثر بالعديد من الوظائف في مقدمتها الوظيفة الإخبارية، كما وتكاد تجمع العديد من البحوث والدراسات على صدارة التلفاز في مجال الحصول على المعلومات(فريديريك قاسّور، 1996، وسائل الإعلام في المستقبل، ص: 06، ومحمد شطاح، 2007 ، الإعلام التلفزيوني "، نشرات الأخبار المحتوى والجمهور"، ص: 03).

وانطلاقا من هذا المعطى يهمنا كثيرا الوقوف على واقع اللغة في التلفاز، وذلك بالوقوف على تساؤلات عدة تشغلنا نحن (باحثين ومخاطبين) في الآن نفسه، مثال ذلك: ما هو واقع الأداء الإعلامي للغة في التلفاز؟ وأيضا ما مساحة اللغة الفصحى في التلفاز أو بعبارة أخرى: هل ثمة فرق بين الفصحى واللغة الرسمية أو العربية الجزائرية؟وهذا بدوره أدى بنا إلى طرح تساؤلات أخرى منها: هل الإعلام وبخاصة التلفاز يعدّ الفصحى وسيلة نجاح وتطور وانتشار أم هي عقبة أمام الوصول إلى الجمهور؟وأيضا هل للإعلام دور في تهذيب اللغة المتداولة أم أن اللغة المتداولة هي التي تهذّب الإعلام؟ وأهم تساؤل هو: هل المشكل هو مشكل لغة عربية أم مشكل ثقافة عربية في عصر المعلومات والاتصال؟

تتجه القنوات التلفازية إلى الاهتمام بتقديم خدمات إخبارية متميزة من حيث التقديم ومن حيث توظيف آخر تكنولوجيات العرض والبثّ، ويجد المشاهد نفسه أمام زخم من القنوات تتسابق وتتنافس لعرض خدماتها الإخبارية في فضاء إعلامي مفتوح أُلغيت فيه الحدود الكلاسيكية كاللغة والجغرافيا والحدود(محمد شطاح، 2007 ، الإعلام التلفزيوني"، نشرات الأخبار المحتوى والجمهور"، ص: 03).

معنى هذا أن اللغة أصبحت وسيلة لا غاية في الآن نفسه، مع أننا لا نطالب بأن تكون غاية فقط، بل وسيلة تحمي الرسالة من أن تصل مشوهة أو مغلوطة؛ لأنها بذلك ستكون رسالة عاجزة عن تحقيق التفاعل والتناغم بين المتلقي والمرسل.

والواقع أن كثيرا من علامات الاستفهام ظلت مطروحة حول حقيقة واقع اللغة في التلفاز، والسؤال ما عاد يحتمل إجابة واحدة بل بات يحتمل إجابات متقاربة أحيانا وأحيانا أخرى متضاربة.

فمثلا لو تساءلنا عن الأداء الإعلامي للغة العربية في التلفاز، وطبعا نموذجنا في هذا هو القناة الرسمية وليس القنوات المتخصصة؛ لأن في مثل ذاك الاختيار إجحاف وتعميم لا نتيجة منه، فحال القنوات المتخصصة ظاهر وهدفها أيضا ، أما القناة الرسمية فهمي بمثابة الواجهة الرسمية للإعلام الوطني وللمجتمع ككل. مع أن كلا من القناة الرسمية والقنوات الخاصة لم تشذّ عن القاعدة.

يغلب على الخطاب الإعلامي المعاصر طابع الرسمية؛ بمعنى أن اللغة باعتبارها أداة ربط بين المرسل والمتلقي أو المشاهد باتت لغة رسمية لا لغة عربية فصيحة، فهي لغة مقطوعة الأوصال تتنافس فيها اللكنات، وتغلب عليها السذاجة حدّ الرداءة، زد على ذلك ما يعرف بالأخطاء الشائعة؛ يعني لغة عربية في الشكل لا في المضمون، نحن عندما نقول مثل هذا الكلام لا نطالب بلغة أبي نواس أو البحتري وإنما بلغة إعلامية تراعي سلاسة اللغة وسلامة القواعد، نطالب بلغة طيعة ومطاوعة، وهذا طابع اللغة العربية.

فاللغة الإعلامية ليست لغة أدبية ذات ذوق فني جمالي بل هي لغة خاصة يستعملها المذيع لبلوغ هدفه، وحينما ننظر في هذه اللغة نجدها لغة مباشرة تصل إلى الهدف دون استخدام الإيحاءات الجمالية والفنية للألفاظ، مصاغة في قالب صحفي خاص، مع مراعاة القواعد اللغوية المصطلح عليها، وكذا الحرص على خصائص أسلوبية خاصة يتطلبها الموقف الإعلامي نحو البساطة، الإيجاز، والوضوح(أوريدة تاعزيبت، مميزات لغة الإذاعة" الإذاعة الوطنية وترقية أداء اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية "،ص: 175).

ووضع اللغة العربية في الوسائل الإعلامية لا يمكن إرجاعه ولا حصره في أمر واحد فقط، وإنما إلى أمور كثيرة انطلاقا من الإجابات المحتملة لهذا التساؤل.فلماذا هذا الانحسار للغة العربية أو بعبارة أخرى لماذا هذه الهجانة في توظيف اللغة، أ للأن الشعب طلب مثل هذا التوظيف، فهو شعب أمي قاصر عن فهم الرسائل الإعلامية إذا ما صيغت بالعربية الفصحى، وهو شعب يتكون من الطفل الصغير الذي لا يزال في مرحلة تكوين قاموسه اللغوي، وشعب يتكون من المرأة الماكثة في البيت التي ربما لم تكمل تعليمها حتى، ومن العامل البسيط الذي همه الوحيد هو توفير لقمة العيش، رجل يقضي معظم وقته في التواصل بالعامية، ولكن في مقابل ما ذكرنا فالشعب مكوّن من جيل يحمل شهادات جامعية في تخصصات مختلفة، إذا كان الأمر كذلك فبأي حق أو ربما بأي باطل نسبنا مثل هذا التوظيف إلى طبقة معينة من المجتمع، لماذا لم نقل إن الواجب هو توظيف الفصحى في الخطابات والرسائل بحكم أن المثقفين هم أصحاب الطليعة، طبعا الإجابة عن مثل هذا التساؤل لن تتحيز إلى فئة معينة باعتبار المستوى التعليمي والثقافي للمشاهد؛ لأن الهدف الأساس للإعلام هو التبليغ والتطوير ورفع المستوى، ولم يثبت في أي وقت من الأوقات حتى زمن الجاهلية والحروب قصور الفرد عن استيعاب الألفاظ الفصيحة كيف يكون هذا وهي ألفاظ منبعها القرآن الكريم، والقرآن الكريم شريعة الله سبحانه وتعالى للأمي والمثقف في الآن نفسه، وإذا أخذنا على سبيل المثال المسلسلات التاريخية والوثائقية وحتى المترجمة رغم الاعتراض على بعض مضامينها، فإنها لاقت إقبالا كبيرا من طرف المشاهدين على اختلاف مستوياتهم التعليمية، وربما يعد من إيجابيات الإعلام.

إذن التنزل والتدني بمستوى اللغة إلى مستوى الفرد ليس عذرا على الإطلاق؛ لأنه في الأصل تدن ناتج عن تردي مستوى الإعلاميّ نفسه، فهل من العدل أن نُلقي بأخطائنا وقصورنا عن إدراك أمور معينة على المشاهد فقط؛ بحكم أن المشاهدين مستويات تتقاطع في فهم الخطاب العامي أو العربية في أبسط صورها مع ما تحمله كلمة البساطة من مدلول في الوسط الإعلامي والمجتمع ككل، وهذا بدوره يحيلنا إلى تساؤل آخر، وهو هل هدف وسائل الإعلام هو الإخبار فقط؟ والجواب هنا هو أن هدف وسائل الإعلام بما فيها التلفاز هو تثقيف الشعب وتوعيته بما هو حاصل في العالم، فإذا كانت الثقافة هي المقصد الأسني، فالأحقية هنا للفصحى أكثر من أي عربية أخرى، بمعنى أن الإعلامي عندما يستقي ألفاظا من الموروث اللغوي الفصيح فإنه يعوّد المتلقي على أسلوب معين وراقي في الخطاب والتواصل سواء كان هذا المتلقي أمّيا أو متعلما أو من العامة فقط، ألم يأت القرآن الكريم مخاطبا أمة مزيجة من الأميين والمتعلمين، فالمسألة إذن هي مسألة عادة وممارسة، فالإعلامي إنْ التزم اللغة الفصيحة والخطاب بألفاظ مستمدة من لغت القرآن؛ الذي يعدّ رسالة إلى كل أمة لحفّز المشاهد على التعلم والبحث أكثر فأكثر، مثلا: عندما ترد لفظة عربية فصيحة لا يفهمها أو يستوعبها المتلقي، سيقوم بداهة بالسؤال والبحث عنها حرصا منه على سلامة الفهم وحفظ الرسالة من الغلط والتشويه، وبهذا الشكل يكون المخاطِب(وسيلة الإعلام) قد أسهم بشكل ولو يسير في إكساب المتلقي معلومة جديدة والارتقاء بفهمه ومستوى الخطاب إلى ما هو أفضل وأرقى.

إذن الأمية أو المستوى التعليمي الضعيف للمشاهد ليس عذرا أبدا في الاستعاضة عن العربية الفصيحة بالعامية، ولا بأس في هذا المجال من ذكر نموذج مستمدّ من الواقع المعاش، ولن أبتعد كثيرا في اختياره؛ لأنه سيكون نموذجا من البيت، وهو والدي الكريم الذي لا يقرأ ولا يكتب العربية أبدا، مع أنه يفهمها بشكل جيد جدا، وقد كان مسبقا أنه كان يشاهد الأخبار باللغة الأجنبية أو يتتبعها في القنوات الغربية، والآن هو لا يواجه أي صعوبة في فهم الخطابات والرسائل الإعلامية المتنوعة المذاعة باللغة العربية؛ لأنه عوّد سمعه وفكره على تلقي الرسائل بالمستوى الفصيح لا العامي، بل وأكثر من هذا؛ إذا وقع سمعه أثناء المشاهدة على كلمة متداولة في الخطاب العامي أيضا يسأل ويستفسر عن حقيقة مطابقتها لما هو فصيح.

فالأداء الصحيح والسليم يكسب اللغة الصحيحة والسليمة، ويعمل على الحفاظ على الهوية الوطنية، ويقضي أيضا على الأمية برفع المستوى الثقافي، ويساهم في التنمية اللغوية، أما الوقوع في الأخطاء اللغوية فهو وباء يجب أن تتجنّد له كل الهيئات المعنيّة من أجل القضاء عليه؛ لأن الغلط أو الفهم يكلفان الجزاء، فالغلط يكلف بناء جيل يجيد الخطأ ويتعمّده، والفهم يعني البيان وحبّ اللغة، ولاستغلال هذا الجانب الأخير (اللغة الفصحى) ما على الهيئات المعنية إلا فرضها على وسائل الإعلام وخصوصا المسموعة منها(صافية كساس، 2009، لغة الإذاعة والتلفزيون وتأثيرهما على النشء الجديد، الإذاعة الوطنية وترقية أداء اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ص: 111).

ما تقدم يؤكد لنا أن التزام العربية الفصيحة في الخطاب الإعلامي لا يشكل أبدا عقبة في تبليغ الرسالة الإعلامية وخير دليل على ذلك أيضا الإحصاءات التي قام بها بعض الدارسين العرب(نسيم الخوري، 2005، الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية، ص: 300،309 . 310).

ثم إن الإتيان بحجج أقل ما يقال عنها إنها حجج أوهن من بيت العنكبوت لتبرير الانصراف عن الفصحى والاستعاضة عنها بالعامية في كثير من المواضع، وبأن الغاية تبرر الوسيلة؛ أي أن مهمة الإعلامي هي تبليغ الرسالة إلى المشاهد بأي طريقة وبأي أسلوب كان، المهم أن يتم التبليغ؛ هي حجج باطلة؛ لأن الفصحى ليست عاجزة ولا قاصرة عن تبليغ الرسالة لكافة المشاهدين، كما أنه لم يثبت في أي إحصاء تفوّق اللهجات على الفصحى؛ لأن هذه الأخيرة جامعة لذلك الشتات من اللهجات، وقد كانت ولا تزال مطلبا مهما في الرسائل الإعلامية وفي البرامج التلفازية عامة.

كما أن التمسك بالعاميات لن يؤدي إلا إلى تدهور القيم الاجتماعية والثقافية، وإلى احتقار العلم والتعليم والثقافة، وهذا أكيد سيساهم في تفشي ظاهرة الأمية بكل دلالاتها وانعكاساتها، ومنه عجز الإعلام الوطني أن يكون دافعا للتنمية ومواكبة منجزات الحضارة العصرية.

طبعا ما تقدم ذكره لا ينفي مسئولية المشاهد والمجتمع في الوضع الإعلامي للغة، فاللائمة تقع على الإعلاميين من حيث إنهم لا يبذلون مجهودا كبيرا في تثقيف وتكوين أنفسهم لغويا، ويبقون أنفسهم وقدراتهم على ما استهلكوه أو ما وجودا الناس عليه(عز الدين ميهوبي،2009، الإذاعة الوطنية وترقية أداء اللغة العربية، ص:351). فالاستعمال الإعلامي للغة العربية عادة ما يتأثر سلبا أو إيجابا بالثقافة اللغوية للإذاعيين من صحافيين ومنتجين لمختلف البرامج الثقافية ما أدى إلى شيوع أخطاء لغوية على ألسنة العديد من المذيعين. ويضاف إلى ذلك جنوح العديد من شخصيات الحوار . وليس كلهم . خاصة في البرامج ذات الطابع السياسي إلى استعمال العامية واللسان الدارج، إما لضعفهم اللغوي أو لاعتقادهم بأثرها وصداها في تبليغ الرسالة مقارنة باللغة الفصحى(فيصل غامس،2009، اللغة الإذاعية بين المميزات والمقتضيات ، ص: 162). فقد عمل بعض منهم إن لم نقل أغلبهم على تعرية اللغة ونزع نضارتها، فأصبحت الأخطاء اللغوية والتعبيرية أمرا مألوفا ويكاد يكون عاديا، وأضحى حديث الشارع ضيفا مقيما في الإذاعة وما اتصل بها(خليفة بن قارة، 2009، "تطور لغة الإعلام المسموع"، ص:53). فالعربية باتت خليطا من العامي والفصيح والدخيل؛ وبمعنى آخر باتت العربية لغة هجينة؛ نظرا لأسباب كثيرة بعض منها ظاهر لحد لا يمكن إنكاره أو تجاهله يتصدّره جهل الإعلاميين والمجتمع ككل لكون أهمية الاتصال السمعي البصري من أهمية اللغة ذاتها. وأيضا لجهل كثير منهم لأصول اللغة ودلالاتها، ولاستسهالهم المعاني والألفاظ العامية وإبدالها من الألفاظ الفصيحة.

ونحن عندما نقول لغة فصيحة لا نقصد بذلك اللغة الأدبية بكل مقوّماتها من صنعة وبيان وخيال، وإنما نقصد بها كما قال الإعلامي **خليفة بن قارة: "والعربية المطلوبة هي تلك التي تبنى على نمط علمي اجتماعي بعيدا**

عما توصف به اللغة الأدبية من جمال وخيال مفرط، أو هما تتميز به اللغة العلمية من تجريد نظري؛ أي إنها تلك اللغة السليمة البسيطة الواضحة الموجزة والمتجردة البعيدة عن الكلمات الزائدة أو الأفعال المكررة، أو أحرف الربط المعادة أو الأسماء المستهلكة، ومن خلال التحكم الصحيح الجيد في اللغة وتطويعها كي تتبنى هموم الناس واحتياجاتهم." (خليفة بن قارة، 2009، "تطور لغة الإعلام المسموع"، ص:49).

نظن أن كل إعلامي لو اجتهد قليلا لتمكّن من الوصول إلى تحقيق هذه اللغة في الرسالة الإعلامية؛ لأنه مطلب ليس بالمحال، ولتخلّصت هذه الأخيرة من الأخطاء الشائعة التي تعرقلها وتقف حائلا بينها وبين المشاهد، لاسيما وأن أجهزة الاستقبال تختلف من فرد إلى آخر، ونعني بذلك الفهم، فهو ليس مُوَحّدا وليس كل فرد يملك القابلية لفهم وقبول الخطأ، أو بمعنى أصح استقبال الفكرة المبنية على الخطأ اللغوي.

ونحن بهذا لا نطلب من الإعلامي أن يصل باللغة إلى مرحلة الكمال، وفي الآن نفسه لا نلقي بالخطأ كله عليه، وإنما ثمة وسائل مكمّلة ومهمّة أيضا تقلّل من تلك الأخطاء أو تسدّ تلك الفجوة، وهي كما ذكرنا العودة إلى كتب الأخطاء الشائعة(ثمة ألفاظ وتعابير كثيرة شاع استخدامها اليوم، مع أنه استخدام لا نجده في معاجم اللغة، مع شدة انتشار تلك الألفاظ والتعابير لدى معظم الكتاب والصحفيين ووسائل الإعلام، وثمة كتب كثيرة عالجت موضوع الأخطاء الشائعة ، نذكر منها في القديم:ذرة الغواص في أوهام الخواص لأبي القاسم الحريري،أما في الحديث فنذكر معجم الأخطاء الشائعة لمحمد العدناني، وأيضا : عثرات اللسان في اللغة لعبد القادر المغربي؛ تحدث فيه عن الأغلاط اللغوية التي تظهر عند نطق الأفواه بها.) وأيضا اعتماد التدقيق اللغوي والاستعانة به قبل الإعلام المباشر، فلهذا الأخير أهمية كبيرة في صقل لغة الإعلاميين والمشاهدين أيضا، إضافة إلى الاهتمام بفن الإلقاء وإجراء التدريبات المتعلقة بهذا . وأهم مطلب هو توفر المؤهلات العلمية والثقافية في الإعلامي.

هذا ويمثل المثقّفون والجامعيون دورا كبيرا في الوضع الذي آلت إليه اللغة العربية في الوسائل الإعلامية؛ لأنهم لم يبادروا بالعمل في هذا الاتجاه، فالمثقفون وأصحاب الشهادات هم دوما أصحاب الطليعة في مثل هذه الأمور، فهم يمثلون الوسيط بين الناس؛ بحيث يسهمون في خلق وسط فكري أو مناخ تواصلي من شأنه أن يزيد من إمكانات التواصل والتبادل والتعارف في المجتمع (علي حرب، 2000، حديث النهايات " فتوحات العولمة ومآزق الهوية"، المركز الثقافي العربي، ص:131.) وهم حين يتركون هذا الفضاء فسيحا لغيرهم من التجار ورجال الترفيه لا يمكن للعمل الثقافي أن يحتلّ مكانته الأساسية في عملية التغيير هاته،كما أن ظهور مثقفين جدد بدون تكوين عربي سليم لا يسهم إلا في تأخير استفادة اللغة العربية من التطورات الحاصلة ومن مواكبة مختلف المستجدّات(سعيد يقطين، 2005، من النص إلى النص المترابط" مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي"، ص: 82).

طبعا اللغة العربية لم تتراجع إعلاميا في البرامج الفنية والترفيهية فقط، بل تراجع مستواها حتى في البرامج ذات الطابع السياسي والثقافي أحيانا، ذلك أننا نلاحظ في التلفاز غياب الكفاءات اللغوية حتى عند

المسئولين سواء السياسيين أو الوزراء أو من يملكون السلطة على اختلاف توجهاتها وأشكالها، وهذا طبعا يضطر الإعلاميين إلى نقل الخطاب كما هو دون تغيير في بعض العبارات حفاظا على مضمون الرسالة علما أنهم لا يوظفون الفصحى؛ وإنما جلّ خطاباتهم تكون إما بالعامية أو باللغة الأجنبية، بخاصة الفرنسية كما هو الشأن عندنا، والغريب أن مواد كثيرة من الدستور الجزائري تنصّ على أن كل ما يمثل الدولة بصفة رسمية يجب أن يكون باللغة العربية، مثال ذلك المادة:03 من الدستور: تنصّ على أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية (خطابات الرئيس هي خطابات رسمية باللغة العربية) وفي مقابل ذلك فإن الدستور(المادة73 . المادة07 من الأمر 97 . 07) المتضمن قانون أعضاء مجلس الأمة، لم يشترط في المترشح أي مستوى أو مؤهل علمي. كذلك المادة: 157 الفقرة14 تنص على تعهد كتابي من الرئيس لترقية الهوية الوطنية في أبعادها الثلاثة: الإسلامية، العربية، الأمازيغية(الدستور الجزائري 22 نوفمبر 1996). مع أن الواقع الذي نراه بصفة متكررة في الإعلام الوطني والعربي ككل هو عكس ما هو مدون على الورق، فثمة فرق بين القانون وبين التحقيق الفعلي لهذا الأخير.

مما تقد يتضح لنا أن اللائمة لا تقع على الإعلامي فقط، وإنما على الظروف التي تصنع الخبر الإعلامي ككل، بما في ذلك المشاهد.

بقي أمر مهم من الضروري الإجابة عنه أو على الأقل محاولة تقديم إجابة عنه، وهو هل المطالبة بالتزام الفصحى في الرسائل الإعلامية هو ذم في الآن نفسه للعامية أو اللهجات إن صح التعبير، ومطالبة أيضا بإلغاء ثقافات وتراث شعبي هو جزء من الهوية الوطنية؟

طبعا نحن عندما نطالب بأن تكون الفصحى هي القناة الناقلة للرسالة الإعلامية لا نذمّ بذلك العامية ولا اللهجات السائدة؛ لأن تلك لها مكانها وقيمتها اللغوية من حيث هي لهجة، ولها قيمتها التاريخية من حيث هي دليل حضارات تمازجت وتعايشت وتلاقحت أيضا بأن أفرزت لنا هذا الموروث اللهجي، وهي أيضا جزء من الهوية الوطنية والعربية ككل، فأهمية العنصر البشري تكمن في أنه مزيج معقد من الروابط والمعتقدات والقيم والحوافز، وذلك المزيج هو الذي يشكل جوهر الثقافة(عبد السلام المسدي، نشر يوم: 2005/01/13، ، شيء من قصة التنوع الثقافي، جريدة الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، السعودية، يُنظر: الرابط http://www.alriyadh.com/2005/01/13/article8179.html

إلا أن هذا الزخم اللهجي يشكل عقبة في طريق الرسائل الإعلامية؛ ذلك أن لهجة أهل الغرب تختلف عن لهجة الشرق، بل في الشرق نجد لهجات قد لا يسهل على كثير من المشاهدين والمتواصلين فهمها والوصول إلى مضمونها، ورجال الإعلام من بين المعنيين بمخاطبة الجماهير بمختلف فئاتها وأعمارها ومستوياتها؛ لذلك فإن إرضاء كل الفئات أمر يكاد يكون مستحيلا ، ومن هنا يحمل الإعلامي على عاتقه مهمة تتطلب منه الكفاءة والقدرة على خلق أسلوب يشمل ويضم كل هذه الفئات؛ وهذا لن يتحقق باعتماد اللهجات أسلوبا للخطاب، فالفصحى هي الأسلوب الجامع لهذا الشتات؛ فالظروف العالمية التي تواجهنا من استهداف للهوية العربية واللغة العربية ومقوماتها يفرض مثل هذا الالتزام والسعي نحو تطبيقه والعمل به، يقول عبد السلام المسدي: **"إن هناك تمويلات ضخمة**

لتشجيع اللهجات المختلفة وإحياء المندثر منها، واللعب على وتر الخصوصيات،كتكتيك مرحلي للقضاء على اللغة الأم أولا ثم تعميم اللغة الكونية الأقوى ثانيا، لقد مثلت اللغات الأجنبية في السابق عدوا أيديولوجيا، أما اليوم فقد أصبحت اللهجات المحلية هي العدو الموضوعي، وأزعم أن اللغة العربية كحامل للهوية وضامنة لها، ما يتهددها هو صمت المثقف على زحف اللهجات الذي يغزو الإبداع الثقافي، المثقف العربي اليوم بكل أسف ومرارة يتحول إلى متواطئ على الثقافة والهوية الثقافية، ومتواطئ على ذاته،، ويبدأ بنفسه أول مشهد على تراجيدية انتحارية، لقد سكتنا كمثقفين على تلهيج الإعلام، فإيانا أن نسكت على تلهيج الثقافة،كي لا نرى في ذلك نهايتنا المحتومة،ولا أكتمكم أن المثقف العربي قد يعرف لغة أجنبية ويتقنها كأهلها، ولا يعرف لغته العربية بالقدر نفسه، وهذا هو المطلوب تماما في ظل الكونية الثقافية المزعومة، أن نتحدث لغة واحدة وننتمي إلى ثقافة واحدة هي ثقافة الأقوى بالتأكيد "(عبد الله بن أحمد الفيفي، "مستقبل الثقافة العربية في ظل الوسائط الاتصالية الحديثة"، الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة، 196/2 . 197. وأيضا عبد السلام المسدي، نشر يوم: 2005/03/07، شيء من المسكوت عنه في حقائقنا الثقافية، جريدة الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، السعودية، ، يُنظر: http://www.alriyadh.com/2005/03/17/article48265.html)

واللغات إنما تقوى بقوة أهلها حضاريا وإعلاميا، وتضعف وتضمحل بضعف أهلها واضمحلال لسانهم الحضاري في العالم، ومن مظاهر الأثر السلبي على مستقبل اللغة العربية: إفشاء العامية وترسيخها المتصاعد يوما تلو آخر، وأمة بلا لغة صحيحة واحدة موحدة أمة ضائعة الهوية، مشتتة الكلمة كتشتت العرب اليوم في لهجاتهم، فتفشي العامية في الجامعات والمدارس والإعلام خطير جدا وأثره أكثر بقاء وترسخا؛ ذلك أن الخطورة ستتعدى الخطورة على اللسان الواحد إلى الخطورة على القيم والفكر، وهناك تلازم بين اللغة والفكر من حيث أن الإنسان لا يفكر إلا من خلال اللغة.(عبد الله بن أحمد الفيفي، "مستقبل الثقافة العربية في ظل الوسائط الاتصالية الحديثة"، 196/2.)

وللأسف اللغة العربية الحالية في وسائل الإعلام هي لغة ركيكة جدا لا تحترم أبسط قواعدها النحوية والإملائية؛ هذه القواعد التي باتت مقصورة فقط في مادة اللغة العربية "قواعد" وتهمل هذه القواعد في مواد وحصص أخرى بخاصة في الحصص المباشرة حيث تكثر الأخطاء اللغوية، والأسباب كثيرة جدا، وإذا أراد المتكلم تصحيح الخطأ وقع في أخطاء وكل هذا يثبت لنا عجزنا وقصورنا عن حسن استعمال اللغة العربية.

فالرسائل الإعلامية لا يبدو من خلالها أي جهد أو اهتمام باللغة العربية؛ لأن الخطابات باتت توظف لغة هجينة؛ ذلك أن الإعلاميين هم الذين أسهموا في هذا الوضع بسبب تكوينهم اللغوي وبخاصة الثقافي، وأيضا توهمّا منهم أن استعمال العاميات أو مزجها بالفصحى سيسهم في شيوع وإقبال المشاهدين على تلك البرامج، متناسين بذلك أن أهمية الرسالة الإعلامية من أهمية اللغة الناقلة لها، فاللغة هي المفتاح الأساس للتبحر في أي علم ومجال؛ لذلك

فالاعتناء بها يضمن التواصل السليم وأيضا الانفتاح على العالم؛ لأن اللغة ليست مجرد وسيلة لتحقيق التواصل بين طرفين مرسِل ومستقبل، وإنما هي وسيلة أيضا للاتصال بالعالم الخارجي واكتساب المعارف الجديدة، وطبعا حدوث مثل هذا مستحيل أو شبه مستحيل إذا كانت اللغة العربية ضعيفة وغير مدروسة أو محلّلة.

لهذا لا يجب الفصل بين القومية الوطنية وبين العالم الخارجي؛ لأن هذا من شأنه أن يسهم في استلاب الهوية الوطنية ومنعها من التطور والتعايش مع الثقافات الأخرى المزاحمة لها أو ربما المتقدمة عنها، ذلك أن اللغة هي اختصار للثقافة والثقافة اختصار للوجود، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"**اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخُلُق والدين تأثيرا قويا بيّنا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخُلُق،وأيضا فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب،فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.**" (ابن تيمية، 1999، اقتضاء الصراط المستقيم، 1 / 207.)

بعد هذا ألا نفيق من سباتنا ونعيد الاعتبار لهذه اللغة الجميلة ونعيد النظر في مسألة تدريسها وبخاصة في المراحل الأولى من التعليم؛ لأن إنكار الحقائق ضرب من السفه والإيغال في الأوهام لا خير فيه، وأيضا تتبع معايب وأخطاء الأطراف الأخرى لن يساهم أبدا في جبر الكسور التي ألمت باللغة العربية ولا في رأب التصدعات التي أصابتها، فالفقير يستطيع أن يهجو الغني وأن يفضح مواطن الطغيان فيه، فهل ذاك نافعه، وهل ذاك الهجاء يسدّ جوعته ويستر عورته.طبعا لا، فبأي باطل ننتقد غيرنا على واقع نمثل نحن المثقفين وحاملي الشهادات الصرح الفاسد له، نحن بحاجة إلى أن ننتقد ونسأل أنفسنا قبل غيرنا: ما واقع اللغة العربية في ذواتنا نحن؟ في استعمالنا نحن؟ والإجابة عن هذا التساؤل هي التي تحدّد خطواتنا، لهذا فنحن بحاجة إلى خطوات مبادرة ومسارعة لتحقيق أداء إعلامي سليم للغة العربية، فإذا أردنا أن نغير من الواقع علينا أولا أن نغير من أنفسنا إلى ما هو أحسن وأكثر رقيا، وشيء آخر، لا ينبغي أن نقول إن مثل هذا الوضع استفحل وبات من المحال إصلاحه أو رأبه، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال: " **إذا سمعت الرجل يقول هلَك الناس فهو أهلَكَهم**" أو" **أهلكُهُم**" على اختلاف الروايتين، فنحن إن لم نتمكن من إصلاح الوضع تماما والعودة به إلى ما كان عليه، فعلى الأقل نسعى إلى التحسين منه قدر المستطاع،وما وجودنا وحضورنا في مثل هذا الملتقى إلا خطوة أولية لمعالجة الوضع الذي آلت إليه اللغة العربية في الواجهات الإعلامية.

وأخيرا خير الكلام الختام وخير الختام قول السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

مكتبة البحث:

1 . أوريدة تاعزيبت، مميزات لغة الإذاعة، الإذاعة الوطنية وترقية أداء اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، شارع فرانكلين، روزفلت،2009.

2 . ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط7، 1419هـ – 1999م.

3 . جمال العيفة، الثقافة الجماهيرية "عندما تخضع وسائل الإعلام والاتصال لقوى السوق" جامعة باجي مختار، عنابة،2003.

4 . خليفة بن قارة، "تطور لغة الإعلام المسموع"، الإذاعة الوطنية وترقية أداء اللغة، المجلس الأعلى للغة العربية، 2009.

5 . الدستور الجزائري 22 نوفمبر 1996.

6 . سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط" مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان، ط1، 2005.

7 . صافية كساس، لغة الإذاعة والتلفزيون وتأثيرهما على النشء الجديد، من الإذاعة الوطنية وترقية أداء اللغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية،، شارع فرانكلين، الجزائر، 2009.

8 . عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، "اقترابات لسانية للتواصليين: الشفهي والكتابي"، دار هومة، بوزريعة . الجزائر، 2000.

9 . عبد السلام المسدي، شيء من قصة التنوع الثقافي، جريدة الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، السعودية، نشر يوم: 2005/01/13، الرابط http://www.alriyadh.com/2005/01/13/article8179.html

10 . عبد الله بن أحمد الفيفي، "مستقبل الثقافة العربية في ظل الوسائط الاتصالية الحديثة"، الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة، مجلة العربي، الجزء2.

11 . علي حرب، حديث النهايات " فتوحات العولمة ومآزق الهوية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1، 2000.

12 . فريديريك قاسّور، وسائل الإعلام في المستقبل، منشورات عويدات، بيروت . لبنان،ط1، 1996.

13 . فيصل غامس، اللغة الإذاعية بين المميزات والمقتضيات، الإذاعة الوطنية وترقية أداء اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، 2009.

14 . محمد شطاح، الإعلام التلفزيوني "، نشرات الأخبار المحتوى والجمهور"، دار الكتاب الحديث، القاهرة . الكويت، 2007.

15 . نسيم الخوري، الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . لبنان، 2005.